استعادة ذاكرة الشعر التعليمى

قراءة فى ديوان
"الأنوار السنية فى السيرة النبوية للناشئين"

إبداع

زكريا الرطيل

obeikandl.com

obeikandl.com

لقد منح الله سيناء الغالية منحًا كثيرة فجعلها أرض القمر والبشر؛حيث يقيم عليها صفوة متميزة من المثقفين والأدباء الذين تجمعوا من شتى أرجاء مصر والوطن العربى فى زمرة متناغمة على الرغم من أنها متنوعة المشارب والأنماط، وآثروا – منذ القدم– العيش فى رحاب تلك البقعة المباركة التى حباها الخالق بمزايا كثيرة؛فهى أرض الفيروز النادر والرمل اللامع والقمر الساطع والبحر الصافى والنخيل الوفير والجنان الظليلة ومهد الرسالة السماوية ومهبط الأنبياء والمرسلين.

وبالإضافة إلى كل ما سلف فهى مسقط رأس كوكبة من المفكرين والعلماء والباحثين النابهين والأدباء والكتاب النوابغ، ولعل من هؤلاء البارزين على الساحة السيناوية ذاك السيناوى الأصيل شاعر الفصحى، زكريا الرطيل صاحب ديوان: الأنوار السنية فى السيرة النبوية للناشئين، الصادر عن دار الوفاء، بالإسكندرية سنة 2011م، وهو الديوان الثانى للشاعر، وأول الدواوين الشعرية التى تصدرها جمعية اللسان العربى الجميل بشمال سيناء؛تفعيلاً لإحدى أهدافها المنشودة، وتشجيعًا لأدباء سيناء الغالية.

وصاحب هذا الديوان هو زكريا حمدان الرطيل.وقد اشتهر باسم زكريا الرطيل، وهو من مواليد العريش بمحافظة شمال سيناء سنة1948م.درس فى كلية الآداب بجامعة القاهرة، وتخرج فى قسم المكتبات والوثائق عام1983م، وتتنوع مجالات نشاطه الثقافى والأدبى؛فقد صدر له ديوان شعر بالفصحى تحت عنوان:" أغاريد من سيناء"، طبع بالهيئة العامة لقصور الثقافة ولديه مشروعات شعرية

وفكرية تحت الطبع، كما أنه أمين صندوق جمعية اللسان العربى الجميل بشمال سيناء

وشاعرنا ذو صيت فى المحافل الأدبية والثقافية سيما فى سيناء وإقليم قناة السويس؛إذ إنه عضو نشط متميز فى عدة مؤسسات أدبية وثقافية متميزة، وخاض غمار المشاركة في المسابقات الأدبية، خاصة مسابقات شعر الفصحي، مثل بعض مسابقات جامعتي القاهرة والأزهر، وتميز فيها حتى إنه حاز من الجامعتين شهادات تقدير، ونال جائزة المركز الثالث في مسابقة مجلة التراث، وهى مسابقة تجرى على مستوى الوطن العربي، وإذا دل هذا الفوز على شيء فإنما يدل على مكانة شاعرنا على مسرح الحركة الأدبية فى سيناء ومصر والوطن العربى.

وهذا الديوان تجربة تعيد إلى الذاكرة تجارب السلف فى منظوماتهم الشعرية التعليمية، تلك التى قدمت علوم الحضارة العربية فى عصورها الزاهرة المتلاحقة، فى قالب شعرى يحفظه طلاب العلم سيما الناشئ المبتدئ منهم، وذلك لما عرف عن دور هذا القالب فى ترسيخ المعلومة فى الذهن وحفرها فى عمق الوجدان، فقد رأى فيه أسلافنا الوسيلة المثلى لحفظ أسس هذه العلوم؛ومن ثم سار شاعرنا على دربهم وحذا حذوهم وانتهج نهجهم، فى بادرة لإحياء سيرة المصطفى، ﷺ؛ومن ثم اختار شاعرنا القالب الشعرى الموسيقى التقليدى وزنًا وقافية.

وقد حدد شاعرنا هدفه فى المقدمة المنظومة للديوان، كعادة أصحاب المنظومات الشعرية من السلف؛حيث قال:

إني قصدتُ الله في منظومتي فهو المعينُ ومنزلُ الرَّحمَاتِ

في نظمِ سيرةِ خاتم الرسل الذي بهُداه بَدّد حالك الظلمَاتِ

ذي سيرة صِيغت بأنوار المُنى ورأيتُ فيهَا مُنتهَى غَاياتي

قد صغتها لتزين عقل شبيبةٍ هي في الحقيقةِ مقصدُ الأبيَاتِ

ومن الواضح عزيزى القارئ أن الهدف سامٍ وأصيل أصبحنا – نحن أبناء الأمة العربية الإسلامية– فى أمس الحاجة إلى ترسيخه والعض عليه بالنواجذ لمجابهة تحديات العصر بمتغيراته المتلاحقة وفى مقدمتها تحديات العولمة ألا وهو الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية المميزة بما تتضمن من موروث تاريخى واجتماعى يعبر عن العادات والتقاليد والاتجاهات والميول والقيم الأصيلة، ولعل ذلك يتأتى من خلال استلهام روح السيرة النبوية الشريفة ذات الأصول العربية الإسلامية العريقة، فإذا ترسخ هذا الموروث فى أذهان الناشئين من أبناء الأمة استطاعت أجيالهم مجابهة تلك التحديات.

ويحسب لشاعرنا إقباله على مثل هذا النوع من النظم الشاق المحفوف بالصعاب، فقد بذل جهدًا مضنيًا من أجل توعية النشء بسيرة الرسول العطرة منذ ميلاده حتى وفاته، ﷺ؛ ليكون لهم الأسوة الحسنة والمثل الأعلى، وسعيًا حثيثًا من شاعرنا نحو إبراز الخصوصية خوفًا من طمس الجذور ومحو معالم الهوية؛ ومن ثم أخذ ينقب فى المصادر والمراجع الموثقة خاصة كتب السيرة النبوية الشريفة والتاريخ الإسلامى.

ويحمد لشاعرنا أنه رسم لديوانه منهجًا واضح المعالم؛فقد بدأه بمقدمة شعرية موجزة وضح فيها هدفه من قرض الديوان والمستوى العمرى الموجه إليه،ثم تعرض لخمسة وأربعين حدثًا من أحداث السيرة النبوية العطرة، بداية من ميلاد، و طفولته، ومرورًا بحادثة الفيل و زواج النبي، ﷺ من السيدة خديجة، رضى الله عنها، و تعبده فى غار حراء، وبنيان الكعبة، وبعثته ودعوته، ﷺ إلى الله، وتعذيب الكفار للمؤمنين، والهجرة إلى الحبشة، وبيعة العقبة الأولى والثانية، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، والأذان، والإسراء والمعراج، والغزوات، و صلح الحديبية، وتحويل القبلة إلى الكعبة، وعمرة القضاء، ومسجد الضرار، وأمر الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك، والوفود، وحجة الوداع، وبعث جيش المسلمين بقيادة أسامة بن زيد، وخروج رسل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى الملوك، وابتداء مرضه ﷺ، وصلاة أبى بكرالصديق –رضى الله عنه– بالناس وتجهيزه ودفنه، صلى الله عليه وسلم، وانتهاء بسقيفة بنى ساعدة .

وقد تميز الديوان الذى أتحفنا به شاعرنا بسهولة الأسلوب ووضوح الألفاظ وحيويتها وإحكام البناء وتماسكه وجزالة التعبير وجمال التصوير والبعد عن التكلف، وإن كان الشاعر قد صبه فى قالب تقليدى، وفلتت منه بعض الهنات اللغوية.

والآن أتركك عزيزى القارئ مع بعض نصوص من الديوان من درر السيرة النبوية العطرة وجماليات لغوية وأدبية.

فتح مكة (*)

360. وقريش لعهد قد خلفت فتوالت فيها النكبات

361. وبنو بكر طلبت ثأرا وخزاعة أحيت ثارات

362. وقريش تعين بنى بكر فى ثأر نقض عهودات

363. فى بيت الله سعوا قتلا لخزاعة حلوا الحرمات

364. ورسول الله درى خبرا فأعد لمكة عدات

365. فتجهز سرا كى يغدو يجتاز طريق فتوحات

366. ذا حاطب قد أخفى أمرا بكتابة يبغي قربات

367. لقريش يرسله سرا يحكى عن كل الخطوات

368. فى أمر الفتح بما يجرى من إعداد لمهمات

369. ورسول الله درى خبرا لعلى أرسل بالذات

370. أن يذهب فى أثر امرأة ولمكة تبدى العزمات

371. كى تفضح سرا أخفته ولحاطب توفى الذمات

372. وعلى أسرع يوقفها كى يمنع وقع الزلات

373. ورسول الله مضى قدما[1] ولحاطب يبدى اللومات

374. إذ شارك يوماً فى بدر قد ابدي فيه بطولات

375. قد فاز بغفران ومضى فى نعمة رب الرحمات

376. ورسول الله يعد لذا جيشا تسبقه الرايات

377. فى عشرة آلاف جند أوفوا لله النيات

378. ولمكة وافوها نصرا وأصابوا فيها الغايات

379. ولأصنام طفقوا هدما وأزالوا عهد الظلمات

- زكريا الرطيل: الأنوار السنية فى السيرة النبوية للناشئين، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2011م، ص 41-44.

380. ديـن الإسـلام غـدا فجـراً بهــدى مــن رب الســموات
381. وتـولى الشـرك ومـا أضـحى للجهـــل دروبـــا صـــعبات
382. قـد كـان دخـولهم ظفـرا فـــى قـــوة بـــاس قيـــادات
383. وقـريش أحـاط بهـا ذعـر وغـــدوا بجنـــون الـــويلات
384. ورســـول الله ينـــاديهم فالأهـــل همـــوا والقربـــات
385. الأنـــى جئـــتكم ظفـــرا امضـى فـى فـرض عقوبـات
386. أم مـــاذا بيـــتم ظنـــا فـــى أمـــر ابـدوا الحســرات
387. إذ قـالوا خـيرا إذ انـتم اهـــل للصـــفح لمـــا فـــات
388. فأشـار لهـم هـي انطلقـوا ذا يـــوم شمـــول الرحمـــات
389. ذا يـوم الفـتح لكـم امـن لا تـــؤتى فيـــه الحرمـــات
390. مـــن يـــدخل بيتـــا يغلقـــه والمســـجد للنـــاس نجـــاة
391. وأبـــو ســـيفيان لاســـلام أبـــدي الإيمـــان بنيـــات
392. والـدار أمـان مـن خـوف فـــى فخـــر يبـــدى الكلمـــات
393. ذى هندُ تقول، وما تغنى دار عـــن تلـــك الأزمـــات
394. قـد سـاد الـدين بعزتـه والنـــاس أتـــوه جماعـــات
395. وأبـــو بكـــر بأبيـــه أتـــى ولطـــه يـــدنى الخطـــوات
396. يرجـو هـدياً فـى إسـلام لأبيـــه ونيـــل البركـــات
397. فـدعا بهـداه وقـد أسـلم قـد فـاز بهـدى الـدعوات
398. ورسـول الله غـدا ليسـعى للكعبـــة يرقـــى العتبـــات
399. ولبـاب الكعبـة يفتحـه ويزيـــل آثـــار جهـــالات
400. ويقول : الشرك مضى دحرا وتبـــدد ليـــل الظلمـــات
401. وغـدا التوحيـد لنـا دينـا بهدايـــة رب الســـموات

حجة الوداع

528. و رسول الله غدا يسعى للحج يعد العدات
529. و يحث الناس على قصد للكعبة – بيت البركات
530. و الناس غدا لهم ركب بذلوا لله الطاعات
531. يحيوا لله فريضته يمضون بصدق النيات
532. و رسول الله يعلمهم أحكاما لهم و عظات
533. يبدى للناس مناسكهم يسعون لها بالعزمات
534. لوداع ادى خطبته فى تبيان للحرمات
535. و بتقوى الله يذكرهم و السعى لنيل الدرجات
536. لا يأتوا من عمل ظلما لسلوك دروب جهالات
537. يسعوا بالخير لأنفسهم لله يسوقوا الدعوات
538. و يؤدوا مال زكاتهم و يقيموا فرض الصلوات
539. و يديموا الذكر لخالقهم ومناهم أعلى الجنات
540. و يقيموا الدين لربهم بالحق و صدق النيات
541. و يصونوا وحدتهم دوماً فى عزتهم بعبادات
542. فالله يكون لهم عونا و يبارك تلك الخطوات[*]

- زكريا الرطيل: الأنوار السنية فى السيرة النبوية للناشئين، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2011م، ص 55-56.

ابتداء شكوى رسول اللّه ﷺ (1)

566. و رسول الله يسير إلى ... شهداء بقيع بالدعوات
567. ومويهبه[2] في صحبته ... كي يخبره بالنيات
568. فيقول و ربي خيرني ... ما بين خلود أو جنات
569. فيقول مويهبه فاختر ... دنيا و علو للدرجات
570. فيرد رسول الله عليه ... فجنة ربي خير حياة
571. فيعود ليبدى بالشكوى ... بالبيت يعاني من شدات
572. و لعائشة يشكو ألما ... و تشاركه في الوعكات
573. فيقول : أريقوا من ماء ... فأتوه بسبع من قربات
574. للمسجد يغدو متكئا ... للناس يحدثهم بعظات
575. و يقول : فإن الله قضي ... و لعبد خير قبل ممات
576. و أبو بكر يبكي حزنا ... لفراق تبديه الكلمات
577. و رسول الله يقول لهم ... فأبو بكر أولى لصيلات
578. للمسجد أبواب تغلق ... لا تبقوها مفتوحات
579. إلا بابا لابي بكر ... ذاك المهدى للصحبات
580. و أسامة فليمضى قدما ... في بعث عدوا العدات
581. و أسامة في ثقه يغدو ... للجرف يبيت لميقات
582. و رسول الله غدا يوصى ... في أنصار بالرحمات
583. من إكرام أو إحسان ... أو إيثار بالخيرات
584. خير الناس و أولى براً ... لهم سبق التضحيات

تجهيزه ودفنه، صلى الله عليه وسلم

602. قد قام على في سعى للغسل يعد العدات
603. و لتكفين مع صحبته و قميص يستر عورات
604. و بثوبين و برد حبر و الناس أعدوا لصلاة
605. و لموضع دفن قد ابدوا خلفا في صمت قد بات
606. فأبو بكر أبدى قولا لحديث فى هذى الحالات
607. إذ كل نبى مدفنه إن مات و حانت منه وفاة
608. في موضع موت قدره بقضاء من رب السموات
609. فغدوا للحفر بموضعه ليسجى في قبر الروضات
610. قد فات لنا أنوار هدى و لسالكها أطواق نجاة
611. بهدى القرآن و سنته دربا لدخول الجنات

سقيفة بنى ساعدة

612. لسقيفة ساعدة ابتدروا و أرادوا دفع خلافات
613. و غدا الأنصار لما عزموا فى سعيهم لإمارات
614. صحبوا سعد بن عبادة فى أمر من شر الفتنات
615. لبلوغ امارتهم خلفا لرسول الله مضوا بثبات
616. فأتى آت لأبى بكر كى يخبره بالعزمات
617. صحب الفاروق أبا بكر لسقيفه ساعده بالذات
618. فمضى فى الناس خطيبهم لأبى بكر بذلوا الطاعات
619. من بعد خلاف فى رأى و تباريهم بالكلمات
620. فمن الأنصار بدا رأى و غدا من هاجر بالحجات
621. فإذا الفاروق بفطنته للناس غدا يبدى الرغبات
622. فى بيعه أول من آمن و الثاني اثنين بلا ريبات
623. فإذا القوم ابتدروا سبقا و باخلاص ابدوا البيعات
624. لأبى بكر لأمانته لخلافة من أرسي هدايات
625. فإذا بالناس و قد بدروا للبيعة قد أوفوا النيات
626. و غدوا لجهاز رسول الله بدمع تسبقه العبرات
627. و بإيمان بقضاء الله و اخلاص لعلا الجنات